الفصل الأول

فضائل آل البيت في القرآن وتفسيره

عندما نريد الحديث عن مزايا آل بيت رسول الله ﷺ وفضائلهم ، لا نجد أصدق من كلام الله في ذلك .

لكن المشكلة التي تعترضنا الخلاف الكبير في تفسير هذه المسألة!! فبعضهم غالى كثيراً ، وعَدَّ أن في القرآن ما يزيد على خمسمئة آية تختص بآل البيت!! بينما وقف بعضهم الآخر موقفاً معاكساً في هذه المسألة ، إلىٰ درجة أنهم حاولوا تأويل كثير من الآيات القرآنية الصريحة بآل البيت علىٰ أنها نزلت في بعض الصحابة الكرام!!

وأمام هذه التلاطمات الفكرية ، عدت إلىٰ أسباب النزول للآيات القرآنية وإلىٰ معظم ما قاله علماء التفسير والبيان . ثم اعتمدت أيضاً علىٰ أهم شارح للآيات القرآنية ، وهي السنة النبوية الشريفة ، ليتكامل الموضوع من غالبية جوانبه ، وبعيداً عن الإفراط والتفريط ، فكما تعلّمنا أن من سمات الشريعة الإسلامية مسألة الاعتدال والوسطية .

ولابدّ من الإشارة إلىٰ أني لم أنقل هنا أي قول لا يعتمد علىٰ مصدر موثوق وفي أكثر من مكان ، لأنه ـ وللأسف الشديد ـ قد ترىٰ واحداً من العلماء يريد أن يؤيد فكرته أو ميوله ، فيعمد إلىٰ نقل قول دون أن يبين

مدىٰ ضعفه أو صحته ، ودون أن ينقل أحد آخر قبله هذا القول!!

ومن ثم تناقل الناس هذا القول حتىٰ أصبح كالمتواتر ، وعندما تعود إلىٰ الأصل تراه ضعيفاً أو موضوعاً أو معلولاً ، لكنها أمانة العلم أن يعود الباحث إلىٰ الجذور والأصول ، ولا سيما القرآن الكريم والسنة الشريفة وأقوال الرعيل الأول من هذه الأمة ، ليرىٰ ماذا قالوا في هذه المسألة .

وهذا الانتقاء لبعض الآيات القرآنية لا يعني إطلاقاً تجاهل الآيات القرآنية الأخرىٰ التي تشير إلىٰ بعض فضائل آل البيت ، إنما هي من باب الترجيح لقوة الأدلة ، أو من باب وجود ضعف في تفسير تلك الآيات ، أو لوجود خلاف حاد بين العلماء في نسبة تلك الآيات إلىٰ فضائل آل البيت .

وتبقىٰ المسألة قابلة للنقاش الهادىء والموضوعية العلمية ، وتبقىٰ المسألة خاضعة لنسيان الإنسان وعدم عصمته ، فلا معصوم بعد المعصوم ﷺ ، والشفيع في ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

فإلىٰ كتاب الله تعالىٰ ، فقد ذكر عن سيدنا عليّ كرم الله وجهه أنه قال :

« ذكر رسول الله الفتنة ، فقلنا : يا رسول الله ، وما المخرج منها؟

قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وخبر ما بعدكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبارٍ قصمه الله ،

ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والهادي إلىٰ الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تلتبس به الألسنة ، ولا تزيغ به الأهواء ، ولا يخلقُ عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يملّه الأتقياء ، وهو الذي لم تلبث الجن لما سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً .

من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلىٰ صراط مستقيم »[1] .

١ـ في سورة البقرة :

قول الله تعالىٰ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة : ٢٠٧] . ثمة خلاف بين العلماء في تفسير هذه الآية وتأويلها ، وجلّ ما رجعت إليه من كتب التفسير يقول : إن هذه الآية نزلت في صهيب رضي الله عنه ، وقال آخرون : نزلت في صهيب ، وهي عامة[2] .

أما الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) رحمه الله ، فقد ساق القولين السابقين ، ثم قال :

(والرواية الثالثة : نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بات علىٰ فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلىٰ الغار ، ويروىٰ أنه لما

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : البيان في علوم القرآن ، للمؤلف : ٣/١١٦ـ١٢٧ .

(٢) للتوسع يراجع : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١/٤٣٦ ، تفسير البغوي : ١/١٨٠ ، تفسير النسفي : ١/١٦٦ ، الكشاف للزمخشري :١/٢٥١ ، تفسير ابن عطية : ٢/١٩٦ ، تفسير الطبري : ٢/٣٢١ ، مسند الإمام أحمد : ١/٣٤٥ ، مستدرك الحاكم : ٣/٤ ، تاريخ بغداد : ١٣/١٩١ ، تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٩ ، أسد الغابة : ٤/١٩ .

نام علىٰ فراشه قام جبريل عليه السلام عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، وجبريل ينادي : بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ، ونزلت الآية)[1] .

وينقل الشيخ سليمان القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ) رحمه الله روايات كثيرة في ذلك ، منها ما رواه علي بن الحسين رضي الله عنهما قال : إن أوّل من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وقال علي عند مبيته علىٰ فراش رسول الله ﷺ شعراً :

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرىٰ ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به فنجّاه ذو الطول الإلٰه من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً موقّىٰ وفي حفظ الإلٰه وفي الستر
وبتّ أراعيهم وما يثبتونني وقد وطنت نفسي علىٰ القتل والأسر

ومثل ذلك في تفسير الثعلبي ، وفي إحياء علوم الدين للغزالي ، وشواهد التنزيل للحسكاني . .[2] .

ثم بعد عدة آيات ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

وفي أسباب نزول هذه الآية يقول الإمام أبو الحسن علي الواحدي (ت٤١٢هـ) رحمه الله :

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب : ٣/ ٢٢٢ .
(٢) ينابيع المودة لذوي القربىٰ : ١/ ٢٧٣ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ . قال : نزلت في علي بن أبي طالب ، كان عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحداً ، وبالنهار واحداً ، وفي السر واحداً ، وفي العلانية واحداً .

وقال الكلبي : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لم يكن يملك غير أربعة دراهم ، فتصدق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانية ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما حملك علىٰ هذا؟ » قال : حملني أن أستوجب علىٰ الله الذي وعدني ، فقال له رسول الله ﷺ : « ألا إن ذلك لك » فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1] .

وقال فريق آخر من العلماء : بل إن الآية عامة في مسألة الإنفاق في سبيل الله[2] .

٢ـ في سورة آل عمران :

قول الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ـ٦١] .

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٨٥ـ٨٦ .

(٢) للتوسع في ذلك يراجع : الدر المنثور للسيوطي : ١/ ٣٦٣ ، وتفسير البغوي : ١/ ٢٦٠ ، تفسير النسفي : ١/ ٢١٠ ، تفسير ابن كثير : ١/ ٥٧٤ ، تفسير الكشاف : ١/ ٣١٨ ، تفسير القرطبي : ٣/ ٣٤٧ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ٦/ ٣٢٤ ، أسباب النزول للسيوطي : ٧١ ، المعجم الكبير للطبراني : ١١/ ٨٠ .

وفي أسباب نزول هذه الآيات يقول الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

(إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ : ما لك تشتم صاحبنا؟ قال : وما أقول؟ قالوا : تقول : إنه عبد ، قال : أجل إنه عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلىٰ العذراء البتول ، فغضبوا وقالوا : هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

وعن الحسن قال : جاء راهبا نجران إلىٰ النبي ﷺ ، فقال لهما رسول الله ﷺ : أسلما تسلما ، فقالا : قد أسلمنا قبلك ، فقال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام ثلاث : سجودكما للصليب ، وقولكما : اتخذ الله ولداً ، وشربكما الخمر . فقالا : ما تقول في عيسىٰ؟ قال : فسكت النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآيات ، فدعاهما إلىٰ الملاعنة ، فواعداه علىٰ أن يغادياه بالغداة ، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد عليّ وفاطمة ، وبيد الحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا ، فأقر له بالخراج ، فقال النبي ﷺ : « والذي بعثني بالحق لو فعلا لَمُطر الوادي ناراً »[1] .

وفي تفسير هذه الآيات يقول الدكتور وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ :

إن صفة عيسىٰ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم ـ عليهما السلام ـ حيث خلقه من غير أب ولا أم ، بل خلقه من تراب ، وقدره جسداً من طين ، ثم قال له : كن فيكون ، أي أنشأه بشراً بنفخ الروح فيه ، شبّه الغريب بالأعزب منه ، والتشبيه واقع علىٰ أن عيسىٰ

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٩٨ ـ ٩٩ .

خلق من غير أب كآدم ، لا علىٰ أنه خلق من تراب ، والشيء قد يتشبَّه بالشيء لاتفاقهما في وصف واحد ، وإن اختلفا في أمور أخرىٰ ، فالذي خلق آدم من غير أب قادر علىٰ أن يخلق عيسىٰ بطريقة الأولىٰ والأخرىٰ .

وإن جاز ادّعاء النُّبوة في عيسىٰ ، لكونه مخلوقاً من غير أب ، فجواز ادعائها في آدم بالطريق الأولىٰ ، ومعلوم الاتفاق أن ذلك باطل ، فدعوىٰ البنوّة في عيسىٰ أشد بطلاناً .

ولكن الله تعالىٰ أراد أن يظهر قدرته للناس حين خلق آدم من غير ذكر ولا أنثىٰ ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثىٰ ، وخلق عيسىٰ من أنثىٰ بلا ذكر ، وخلق بقية البشر من ذكر وأنثىٰ ، ولهذا قال تعالىٰ في سورة مريم : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [مريم : ٢١] .

وقال هنا : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [آل عمران : ٦٠] .

هذا الذي أخبرتك به من شأن عيسىٰ ومريم هو القول الحق ، لا ما اعتقده النصارىٰ في المسيح من أنه إلٰه ، ولا ما زعمه اليهود من رمي مريم بيوسف النجار ، وهذا النهي يثير في النبي وأمته ضرورة الاعتصام باليقين واطمئنان النفس إلىٰ الخبر الإلهي ، أي واظب علىٰ يقينك وطمأنينة نفسك إلىٰ الحق والبعد عن الشك فيه ، أو أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ، لأنه ﷺ لم يكن شاكاً في أمر عيسىٰ عليه السلام .

فمن جادلك في شأن عيسىٰ عليه السلام بعد معرفة الحق واليقين فادعهم إلىٰ المباهلة أي الملاعنة ، بأن نتباهل وندعو الله أن يلعن الكاذب ويطرده من رحمته .

وهذه الآية تسمىٰ آية المباهلة .

وقد ثبت أن النبي ﷺ دعا نصارىٰ نجران للمباهلة ، فأبوا ، جاء في سيرة ابن إسحاق : أنه قدم سنة تسع علىٰ رسول الله ﷺ وفد نصارىٰ نجران ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم ، منهم (العاقب) واسمه عبد المسيح ، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، ومنهم السيد وهو الأيهم ، وكان عالمهم ، ومنهم أبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، وكان أسقفهم ، فدخلوا بعد العصر مسجد رسول الله ﷺ ، فصلوا صلاتهم إلىٰ المشرق ، ثم كلّموا رسول الله ﷺ وقالوا عن عيسىٰ : هو الله ، هو ولد الله ، هو ثالث ثلاثة ، فنزل القرآن للرد عليهم .

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه : أنه جاء العاقب والسيد صاحب نجران إلىٰ رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ، فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيّاً ، فلاعناه ، لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، فقال : إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً ، فقال : لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين ، قم يا أبا عبيدة بن الجراح .

فلما قام قال رسول الله ﷺ : « هذا أمين هذه الأمة » .

وروي أن النبي ﷺ اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما : الحسن والحسين ، وخرج بهم وقال : « إن أنا دعوت ، فأمّنوا أنتم » .

وبعد أن رفضوا المباهلة صالحوا النبي ﷺ علىٰ الجزية : وهي دفع ألف حلّة في صفر ، وألف في رجب ودراهم .

وهذا يدلّ علىٰ قوة اليقين والثقة بما يقول ، وعلىٰ امتناعهم عن

المباهلة فيه تقرير للخطر وكونهم علىٰ غير بينة فيما يعلنون ، فما أمكنهم الإقدام علىٰ المباهلة .

إن هذا الذي قصصته عليك في شأن عيسىٰ هو القصص الحق الذي لا مرية فيه ولا جدال ، لا ما يدّعيه النصارىٰ من كونه إلهاً أو ابن الله ، ولا ما يدّعيه اليهود من كونه ابن زنى ، وسميت قصصاً ، لأن المعاني تتابع فيها .

وليس هناك إله إلا الله العزيز الذي لا يغلبه أحد ، الحكيم : ذو الحكمة الذي يضع كل شيء في موضعه الصحيح المناسب له .

فإن أعرضوا بعد هذا عن اتباعك وتصديقك ، ولم يعلنوا وحدانية الله ، ولم يجيبوا إلىٰ المباهلة ، فإن الله عليم (واسع العلم) بحال المفسدين ، وسيجازيهم علىٰ أعمالهم شرّ الجزاء ، وكل من عدل عن الحق إلىٰ الباطل فهو المفسد ، والله قادر عليه لا يفوته شيء[1] .

وإتماماً للفائدة فيما يتعلق بآية المباهلة ، أنقل ما لخصّه المحدث الشهير أحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) رحمه الله :

(قال في الكشاف : لا دليل أقوىٰ من هذا علىٰ فضل أصحاب الكساء ، وهم : علي وفاطمة والحسنان ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ لأنها لما نزلت دعاهم ﷺ فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه ، وعليّ خلفهما فعلم أنهم المراد من الآية ، وأن أولاد فاطمة

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ٣/٢٤٦ـ٢٤٩ . وللتوسع يراجع : الدر المنثور للسيوطي : ٣/٣١٨ ، تفسير الخازن : ١/٢٤٣ ، تفسير الكشاف للزمخشري : ١/٣٦٨ ، في ظلال القرآن : ١/٤٠٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٢/٤٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٤/٦٦ ، تفسير النسفي : ١/٢٤٢ .

وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة .

ويوضح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلق بها تتميماً للفائدة فنقول : صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال علىٰ المنبر : « ما بال أقوام يقولون : إن رحم رسول الله ﷺ لا ينفع قومه يوم القيامة بلىٰ والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرط لكم علىٰ الحوض » وفي رواية ضعيفة وإن صححها الحاكم أنه ﷺ بلغه أن قائلاً قال لبريدة : إن محمداً لن يغني عنك من الله شيئاً!!

فخطب ثم قال : « ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع بل حتى ـ جبأ وحكم ـ أي هما قبيلتان من اليمن ، إني لأشفع فأشفع حتىٰ إن من أشفع له فيشفع حتىٰ إن إبليس ليتطاول طمعاً في الشفاعة » .

وأخرج الدارقطني أن علياً يوم الشورىٰ احتج علىٰ أهلها ، فقال لهم : (أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلىٰ رسول الله ﷺ في الرحم مني ومن جعله ﷺ نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري؟ قالوا : اللهم لا) .

وأخرج الطبراني : أن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وإن الله تعالىٰ جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب .

وأخرج أبو الخير الحاكمي وصاحب كنوز المطالب في بني أبي طالب ، أن علياً دخل على النبي ﷺ وعنده العباس بن عبد المطلب ، فقال له العباس : أتحبه؟ قال : « يا عم والله لله أشد حباً له مني ، إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب هذا » .

وأخرجه أبو يعلىٰ والطبراني أنه ﷺ قال : « كل بني أم ينتمون إلىٰ عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم » .

بل صحّ عن عمر رضي الله عنه أنه خطب أم كلثوم من عليّ فاعتل بصغرها وبأنه أعدها لابن أخيه جعفر ، فقال له : ما أردت الباءة ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي ، وكل بني أنثىٰ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم » .

وفي رواية أخرجها البيهقي والدارقطني بسند رجاله من أكابر أهل البيت أن علياً عزل بناته لولد أخيه جعفر ، فلقيه عمر رضي الله تعالىٰ عنهما ، فقال له : يا أبا الحسن أنكحني ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقال : قد حبستهن لولد أخي جعفر ، فقال عمر : إنه والله ما علىٰ وجه الأرض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصد فأنكحني يا أبا الحسن ، فقال : قد أنكحتكها ، فعاد عمر إلىٰ مجلسه بالروضة مجلس المهاجرين والأنصار فقال : هنوني ، قالوا : بمن يا أمير المؤمنين؟ قال : بأم كلثوم بنت علي وأخذ يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القيامة إلا صهري وسببي ونسبي » وإنه كان لي صحبة فأحببت أن يكون لي معها سبب .

وبهذا الحديث المروي من طريق أهل البيت يزداد التعجب من إنكار جماعة من جهلة أهل البيت في أزمنتنا تزويج عمر بأم كلثوم ، لكن لا عجب لأن أولئك لم يخالطوا العلماء ومع ذلك استولىٰ علىٰ عقولهم جهلة الروافض فأدخلوا فيها ذلك فقلدوهم فيه وما دروا أنه عين الكذب ومكابرة للحس إذ من مارس العلم وطالع كتب الأخبار والسنن علم ضرورة أن علياً زوجها له وأن إنكار ذلك جهل وعناد ومكابرة للحس وخبال في العقل وفساد في الدين .

وفي رواية للبيهقي أن عمر رضي الله عنه قال : فأحببت أن يكون لي من رسول الله ﷺ سبب ونسب ، قال علي للحسنين رضي الله عنهم : زوجا عمكما ، فقالا : هي امرأة من النساء تختار لنفسها ، فقام علي مغضباً ، فأمسك الحسن ثوبه وقال : لا صبر لنا علىٰ هجرانك يا أبتاه فزوجاه .

وفي رواية أن عمر رضي الله عنه صعد المنبر فقال : أيها الناس ، إنه والله ما حملني علىٰ الإلحاح علىٰ علي في ابنته إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي وصهري » فأمر بها علي فزيّنت وبعث بها إليه ، فلما رآها قام إليها وأجلسها في حجره وقبّلها ودعا لها ، فلما قامت أخذ بساقها وقال لها : قولي لأبيك قد رضيت قد رضيت ، فلما جاءت قال لها : ما قال لك؟ فذكرت له جميع ما فعله ، وما قاله وأنكحها إياه فولدت له زيداً فمات رجلاً .

وفي رواية : أنه لما خطبها إليه قال : حتى أستأذن فاستأذن ولد فاطمة فأذنوا له .

وفي رواية : أن الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : يا أبتاه من بعد عمر صحب رسول الله ﷺ ، وتوفي وهو عنه راض ، ثم ولي الخلافة فعدل ، فقال له أبوه : صدقت ولكن كرهت أن أقطع أمراً دونكما ، ثم قال لها : انطلقي إلىٰ أمير المؤمنين ، فقولي له : إن أبي يقرئك السلام ويقول لك : إنا قد قضينا حاجتك التي طلبت ، فأخذها عمر وضمّها إليه وأعلم من عنده أنه تزوجها ، فقيل له : إنها صبية صغيرة ، فذكر الحديث السابق .

وفي آخره : أردت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب وصهر .

وتقبيله وضمّه لها علىٰ جهة الإكرام لأنها لصغرها لم تبلغ حداً تشتهىٰ حتىٰ يحرم ذلك ، ولولا صغرها لما بعث بها أبوها ذلك .

ثم حديث عمر رضي الله عنه هذا جاء عن جماعة آخرين من الصحابة كالمنذر وابن عباس وابن الزبير وابن عمر ، قال الذهبي : وإسناده صحيح[1] .

٣ـ في سورة الرعد :

قول الله تعالىٰ : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ [الرعد : ٢٣] .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالىٰ :

يقول الله تعالىٰ : جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم .

وعلّق الإمام المقريزي (ت٨٤٥هـ) رحمه الله تعالىٰ علىٰ ذلك بقوله : وهم الذين يوفون بعهد الله ، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التي ذكرها الله تعالىٰ في هذه الآيات الثلاث ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وهم نساؤهم وأهلوهم ، وذرياتهم ، وصلاحهم : إيمانهم بالله تعالىٰ ، واتباعهم أمره ، وأمر رسوله ﷺ .

ثم ذكر ـ الطبري ـ عن مجاهد ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ﴾ من آمن في الدنيا .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي : ﴿ وَمَن صَلَحَ ﴾ موضع ﴿ مِنْ ﴾ رفع عطف علىٰ الواو في ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ .

---

(١) الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة : ١٥٥ـ١٥٧ .

وقال أبو إسحاق : وجائز أن يكون نصباً كما تقول : (دخلوا وزيداً) أي مع زيد .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ يريد : من صدّق بما صدقوا به ، وإن لم يعمل مثل أعمالهم .

وقال أبو إسحاق : اعلم أن الأنساب لا تنفع بغير أعمال صالحة ، فعلىٰ قول ابن عباس معنىٰ صلح : صدق ، وآمن ، ووحد ، وعلىٰ ما ذكره أبو إسحاق معناه : صلح في عمله .

والصحيح ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، لأن الله تعالىٰ جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخول الجنة مع هؤلاء ، فدل علىٰ أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل ، ولا فائدة للتبشير والوعد إلا بهذا ، إذ كل مصلح في عمله قد وُعِدَ دخول الجنة .

وقال القرطبي : ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً علىٰ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ والمعنىٰ : أولئك ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ، وذرياتهم لهم عقبىٰ الدار ، ويجوز أن يكون معطوفاً علىٰ الضمير المرفوع في : ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ وحسن العطف لما حال الضمير المنصوب بينهما ، ويجوز أن يكون المعنىٰ : يدخلونها فيدخل من صلح من آبائهم من كان صالحاً ، لا يدخلونها بالأنساب ، ويجوز أن يكون موضع ﴿مَنْ﴾ نصباً علىٰ تقدير : يدخلونها مع من صلح من آبائهم : أي وإن لم يعملوا مثل أعمالهم يلحقهم الله تعالىٰ بهم كرامة لهم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا الصلاح : الإيمان بالله والرسول ، ولو كان لهم مع الإيمان طاعات أخرىٰ لدخلوها بطاعتهم لا علىٰ وجه التبعية .

قال القشيري : وفي هذا نظر لأنه لابد من الإيمان ، فالقول في

اشتراط العمل الصالح كالقول في اشتراط الإيمان ، فالأظهر أن هذا الصلاح في جملة الأعمال ، والمعنىٰ أن النعمة غداً تتم عليهم بأن جعلهم مجتمعين مع قراباتهم في الجنة ، وإن كان لا يدخلها كل إنسان بعمل نفسه ، بل برحمة الله تعالىٰ .

قال جامعه ـ المقريزي ـ : فإذا جاز أن يكرم الله تعالىٰ عباده المؤمنين بالذين عملوا بطاعته ، ونهوا أنفسهم عن الفتنة بأن يدخل معهم الجنة من أهاليهم ، وذوي قراباتهم من كان مؤمناً قد قصر في عبادة ربه ، وخالف بعض ما نهىٰ عنه بطريق التبعية لهم لا أنهم قد استحقوا تلك المنازل بما أسلفوا من الطاعات في أيام الحياة الدنيا ، فرسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين لوليٌّ بهذه الكرامة أن يدخل تعالىٰ عصاة ذريته الجنة تبعاً له ، ويرضي عنهم أخصامهم[1] .

٤ـ في سورة الحجر :

قول الله تعالىٰ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧] .

وفي أسباب نزول هذه الآية قال الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) رحمه الله تعالىٰ :

أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين رضي الله عنهما : أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم جميعاً :

---

(١) فضل آل البيت للمقريزي : ٦٤ـ٦٧ ، وللتوسع يراجع :
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٩/ ٣١٢ ، تفسير ابن كثير : ٤/ ٨٥ ، تفسير البغوي : ٣/ ٣٢ ، تفسير الطبري : ٣/ ١٤١ ، تفسير النسفي : ٢/ ٣٥٦ ، الكشاف للزمخشري : ٢/ ٥٢٤ .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ قيل : وأيّ غلّ؟ قال : غِلُّ الجاهلية ، إن بني تيم ، وبني عدي ، وبني هاشم ، كان بينهم في الجاهلية عداوة ، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا ، فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر ، فنزلت هذه الآية[1] .

وهكذا يحدثنا علماء التفسير كلاماً رائعاً في بيان وشرح هذه الآيات ، لكن المحور الرئيسي ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه ، مثال ذلك ما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله .

. . . وقوله تعالىٰ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧] .

روىٰ القاسم عن أبي أمامة قال : يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن ، حتى إذا توافوا وتقابلوا ، نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غلّ ، ثم قرأ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ هكذا في هذه الرواية ، والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي أمامة ضعيف .

وقد روىٰ سعيد في تفسيره : حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتىٰ ينزع الله ما في صدره من غل حتىٰ ينزع منه مثل السبع الضاري .

وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة : حدثنا أبو المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : « يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتىٰ إذا هذبوا ونقوا ، أذن لهم في دخول الجنة » .

---

(١) أسباب النزول للإمام السيوطي : ٢١٨ .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا هشام عن محمد هو ابن سيرين قال : استأذن الأشتر علىٰ علي رضي الله عنه ، وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال : إني لا أراك إنما حبستني لهذا ، قال : أجل ، قال : إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني ، قال : أجل إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالىٰ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧] . وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا أبو مالك الأشجعي ، حدثنا أبو حبيبة مولىٰ لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة علىٰ علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ .

وحدثنا الحسن ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا أبو مالك الأشجعي ، عن أبي حبيبة مولىٰ لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة علىٰ علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ . قال : ورجلان جالسان إلىٰ ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك تقتلهم بالأمس وتكونون إخواناً!!

فقال علي رضي الله عنه ، قوما أبعد أرض وأسحقها ، فمن هم إذاً إن لم أكن أنا وطلحة؟

وروىٰ وكيع عن أبان بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند ، عن ربعي بن خراش عن علي نحوه ، وقال فيه : فقام رجل من همدان

فقال : الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فصاح به علي صيحة فظننت أن القصر تدهده لها ، ثم قال : إذا لم نكن نحن فمن هم؟

وقال سعيد بن مسروق عن أبي طلحة ، وذكره فيه ، فقال الحارث الأعور ذلك ، فقام إليه علي رضي الله عنه فضربه بشيء كان في يده في رأسه ، وقال : فمن هم يا أعور إذا لم نكن نحن؟ وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن علىٰ علي رضي الله عنه فحجبه طويلاً ثم أذن له فقال له : أما أهل البلاء فتجفوهم ، فقال علي : بفيك التراب إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ . وكذا روىٰ الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بنحوه .

وقال سفيان بن عيينة عن إسرائيل عن أبي موسىٰ سمع الحسن البصري يقول :

قال علي : فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ .

وقال كثير النواء : دخلت علىٰ أبي جعفر محمد بن علي فقلت : وليي وليكم ، وسلمي سلمكم ، وعدوي عدوكم ، وحربي حربكم ، أنا أسألك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر؟ فقال : ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام : ٥٦] .

تولهما يا كثير فما أدركك فهو في رقبتي هذه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ . قال : أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين .

وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح في قوله : ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ . قال : هم عشرة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة ، والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين[1] .

إذاً :

هذه الآية نزلت في الإمام علي رضي الله عنه حسب رواية السيوطي ، أو في العشرة المبشرين بالجنة ومن بينهم علي ، ويبدو ـ والله أعلم ـ أنها تشمل آل البيت والصحابة الكرام وكل مؤمن لا يحمل في قلبه حقداً أو غلاً أو ما إلىٰ هنالك .

٥ـ في سورة الكهف :

إشارة واضحة إلىٰ العلاقة الحميمة بين الأجداد والآباء والأبناء والأحفاد وتأثير ذلك كله في الآخرين ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٨٢] .

وفي التعليق علىٰ هذه الآية يقول الإمام نور الدين علي السمهودي (ت٩١١هـ) رحمه الله تعالىٰ :

(رُوي أنه كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء ، فكيف

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤/ ١٦٣ـ١٦٥ ، وللتوسع يراجع :
الكشاف للزمخشري : ٢/ ٥٧٨ ، تفسير البغوي : ٣/ ٥٢ ، تفسير النسفي : ٢/ ٤١٤ ، ينابيع المودة : ١/ ٣٥٤ ، مسند الإمام أحمد : ٢/ ٥٩٧ .

لا يحفظ ذرية النبي ﷺ وأهل بيته فيه ، وإن كثرت الوسائط بينهم وبينه؟!

ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه فيما أخرجه الحافظ عبد العزيز بن الأخضر في (معالم العترة النبوية) : احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين . وكان أبوهما صالحاً[1] .

وقال الحافظ جمال الدين الزرندي : يروىٰ أن علي بن الحسين رضي الله عنه قال : أيها الناس إن كل صمت ليس فيه فكر فهو غي ، وكل كلام ليس فيه ذكر الله فهو هباء ، ألا إن الله عز وجل ذكر أقواماً بآبائهم ، فحفظ الأبناء للآباء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ ولقد حدثني أبي عن آبائه أنه كان التاسع من ولده ، وتحت عترة رسول الله ﷺ ، فاحفظوا لرسول الله ، قال الراوي : فرأيت الناس يبكون من كل جانب .

قلت : واحذر أن تمني النفس في بغضهم بما يرمي به بعضهم من الابتداع ومجانبة الاتباع ، فهذا لا يخرجهم من دائرة الذرية ولا النسبة النبوية : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

وقد نقلنا عن المجد اللغوي في كتابنا أخبار أهل المدينة في آداب الزيارة بعد أن ذكرنا أن منها محبة أهل المدينة النبوية وسكانها ، ومودة مجاوريها وقطانها وتعظيمهم أن المجد قال : [ولا سيما العلماء والصلحاء والأشراف والفقراء وسدنة الحجرة وخدمها ، قال : وهلم جرا إلىٰ عوامها وكبارها وصغارها وزراعها وحرّافها وباديتها وحاضرتها كلاً منهم علىٰ حسب حاله ورتبته وقرابته وقربته ودنوه من قبر

---

(١) للتوسع يراجع : الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي : ١٠٧ ـ ١٠٨ .

رسول الله ﷺ ، ثم قال : إلىٰ مَنْ لا تبقىٰ له في هذا المحل العظيم ، وجاراً لهذا النبي الكريم ، وأخلق به مزية أن يجل صاحبها ، قال : وهؤلاء ثبت لهم حق الجوار ، وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار ، وقد عمّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم في قوله : « ما زال جبريل يوصيني بالجار »[1] . ولم يخص جاراً دون جار ، قال : وكل ما احتج به محتاج مَنْ رمىٰ عوامهم بالابتداع ، وترك الاتباع ، فإنه إذا ثبت في شخص مثلاً لا يترك إكرامه ، فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ، ولا يزول عنه شرف مساكنة الدار كيف دار ، بل يرجىٰ له أن يختم له بالحسنىٰ ، ويمنح بركة هذا القرب الصوري وقرب المعنىٰ :

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلىٰ القلب من أجل الحبيب حبيب]

قلت : فتأمله ، فما أعظم موقعه في قلوب المؤمنين! وإذا كان هذا في مطلق الجيران ، فما ذاك بأهل البيت منهم؟)[2] .

أجل ، فإن الله أكرم ذاك الغلام من أجل صلاح أبويه ، فكيف بآل بيت النبي ﷺ وكما هو معلوم فعمود ذاك البيت هو النبي صلوات الله عليه؟!

فكل من أحب رسول الله ﷺ فعليه أن يحب ذريته ، وعليه أن يحترمهم ويكرمهم ولا يوجه الانتقاد والسب والشتم لهم ، ولا يقلل من مكانتهم ، كل ذلك من باب الاحترام والحب للنبي ﷺ ، بل نقول ما قاله المحدث الشهير ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالىٰ :

(ومن علامات محبته ﷺ محبة ذريته وإكرامهم والإغضاض عن

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٤، ٦٠١٥) ومسلم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥).

(٢) جواهر العقدين في فضل الشرفين : ٣٥٢ـ٣٥٤ .

انتقادهم ، فما انتقد ذرية محمد ﷺ محبٌّ لمحمد ﷺ قط .

ومن علامات محبته محبة أصحابه ، ومن علامات محبة أصحابه محبة ذريتهم ، وخصوصاً أولاد الصديق والفاروق وعثمان وسائر العشرة ، وذريتهم وسائر أولاد المهاجرين والأنصار ، وأن ينظر إليهم المؤمن اليوم نظره إلىٰ آبائهم بالأمس لو كان معهم ، ويعلم أن نطفهم طاهرة وأن ذريتهم ذرية مباركة ، وأن يغضي المؤمن عن انتقاد أولاد الصحابة كما أغضىٰ عن انتقاد ذرية رسول الله ﷺ وأهل البيت ، لأنهم قوم شرف الله ذريتهم وأخلاقهم فلا تغلب عليهم أفعالهم كما تغلب الأفعال فيمن أقدارهم بحسب أفعالهم)[1] .

بل إننا نذهب إلىٰ أبعد من ذلك بأن نقول : إن الحياة مع ذكر الصالحين حياة من نوع آخر ، كيف لا؟ والسلف الصالح كانوا يقولون : عندما يُذكر الصالحون تتنزل الرحمات!!

أجل ، لقد رفع الله ذكر كلب بسبب مصاحبته للصالحين ، فكيف بمن يعيش حياته محباً لآل بيت رسول الله وصحابته؟!

إن كلب آل الكهف ، الذي صاحبهم ودافع عنهم ، كانت مكافأته لذلك ، أن عدّه الله سبحانه واحداً منهم[2] ، وهذا الكلام ليس من قبيل الاستهلاك ، إنما هو قرار الله سبحانه في كتابه الخالد إلىٰ أبد الدهر ـ وفي القرآن إشارات لا يفهمها إلا العارفون ـ قال الله تعالىٰ : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٢] .

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢) للتوسع يراجع : التفسير الكبير للرازي : ١١/١٠٧ .

يقول العلامة تقي الدين المقريزي رحمه الله تعالىٰ :

(. . . فإذا صحّ أن الله سبحانه قد حفظ غلامين لصلاح أبيهما فيكون قد حفظ الأعقاب برعاية الأسلاف ، وإن طالت الأحقاب .

ومن ذلك ما جاء في الأثر أن حمام الحرم من حمامتين عششتا علىٰ فم الغار الذي اختفىٰ فيه رسول الله ﷺ ، فلذلك حُرّم حمام الحرم .

وإذا كان كذلك فمحمد ﷺ أحرىٰ وأولىٰ وأحق وأجدر أن يحفظ الله تعالىٰ ذريته ، فإنه إمام الصلحاء ، وما أصلح الله فساد خلقه إلا به .

ومن جملة حفظ الله تعالىٰ لأولاد فاطمة عليها السلام ألاّ يدخلهم النار يوم القيامة .

وقد خرّج أبو داود الطيالسي ، حدثنا عمرو بن ثابت ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : خطب رسول الله ﷺ فقال :

« ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا تنفع ، والذي نفسي بيده إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة ، وإني فرطكم على الحوض ، أيها الناس ألا وسيجيء قوم يوم القيامة ، فيقول القائل منهم : يا رسول الله أنا فلان بن فلان ، فأقول : أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم ارتددتم بعدي ، ورجعتم القهقرىٰ »[1])[2] .

---

(١) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبو داود : ٢/ ٦٢ ، مسند أحمد : ٣/ ١٨ .

(٢) فضل آل البيت : ٦١ـ٦٢ ، وللتوسع يراجع :

تفسير ابن كثير : ٤/ ٤١٦ ، تفسير البغوي : ٣/ ١٧٧ ، تفسير النسفي : ٣/ ٣٨ ، تفسير الكشاف للزمخشري : ٢/ ٧٤١ ، تفسير الطبري : ١٣/ ١٤٠ ، تفسير القرطبي : ٩/ ٣١١ .

٦ـ في سورة الحج :

حديث عن نماذج من آل بيت النبي ﷺ ، ومن قلب المعركة الأولىٰ التي تم فيها ولأول مرة مجابهة الإيمان للشرك ، وهي معركة بدر ، ينقل البيان الإلهي تلك المزية الرائعة لآل البيت فيقول تعالىٰ : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ [الحج : ١٩] .

وفي سبب نزول هذه الآية يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ :

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال : نزلت هذه الآية : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ . في حمزة ، وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة .

وأخرج الحاكم عن علي رضي الله عنه قال : فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ١٩ـ٢٢] .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : نزلت في الذين بارزوا يوم بدر : حمزة وعلي وعبيدة والحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .

وأخرج ابن جرير الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس : أنها نزلت في أهل الكتاب ، قالوا للمؤمنين : نحن أولىٰ بالله منكم وأقدم كتاباً ، ونبينا قبل نبيكم ، فقال المؤمنون : نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب[1] .

---

(١) أسباب النزول : ٢٥٠ ، أسباب نزول القرآن للواحدي : ٣١٨ .

وروىٰ الإمام البخاري بسنده عن قيس قال : سمعت أبا ذر يقسم قسماً إن هذه الآية : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [] . نزلت في الذين بارزوا يوم بدر : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عتبة[1] .

ويحدثنا الإمام ابن سعد عن تلك المبارزة فيقول : (ثم خرج شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، فدعوا إلىٰ البراز ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار بنو عفراء : معاذ ومعوّذ وعوف بن الحارث ، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين من الأنصار وأحبّ أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه ، فأمرهم فرجعوا إلىٰ مصافّهم ، وقال لهم خيراً ، ثم نادىٰ المشركون : يا محمد أخرج إلينا الأكفاء من قومنا ، فقال رسول الله ﷺ : « يا بني هاشم! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله » .

فقام حمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، فمشوا إليهم ، فقال عتبة : تكلموا نعرفكم ، وكان عليهم البيض ، فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، فقال عتبة : كفء كريم ، وأنا أسد الحلفاء ، من هذان معك ؟

قال : علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث ، قال : كفئان كريمان ، ثم قال لابنه : قم يا وليد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علي ، ثم قام عتبة وقام إليه حمزة ، فاختلفا

---

(١) صحيح البخاري : ٥/٩٥ ، صحيح مسلم : ٤/٢٣٢٣ ، مستدرك الحاكم : ٢/٣٨٦ ، سنن ابن ماجه : ٢/٩٤٦ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي : ٣/٢٧٦ ، طبقات ابن سعد : ٣/١٧ ، تاريخ الطبري : ٢/٤٤٥ ، سيرة ابن هشام : ٢/٢٦٥ .

ضربتين ، فقتله حمزة ، ثم قام شيبة وقام إليه عبيدة بن الحارث وهو يومئذٍ أسنُّ أصحاب رسول الله ﷺ فضرب شيبة رجل عبيدة بذباب السيف ، يعني طرفه ، فأصاب عضلة ساقه فقطعها .

فكرَّ حمزة وعلي علىٰ شيبة فقتلاه ، وفيهم نزلت : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾[1] [الحج : ١٩] .

٧ـ في سورة السجدة :

حديث تفصيلي فصل بين الفسق والإيمان ، وبيّن أن لكل منهما مزية ومركزاً ومنصباً ، وبالتالي فالإيمان الذي يرافقه العمل الصالح نتيجته الحتمية هي جنة عرضها السموات والأرض .

وأما الفسق فهو الذي يوصل صاحبه إلىٰ الجحيم الذي لا خروج منه!!

وقد أورد البيان الإلهي مثالين لهذين الصنفين هما : علي بن أبي طالب أحد الرموز الكبيرة في خط الإيمان ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط رمز كبير من رموز الفسق والدجل!!

قال الله تعالىٰ : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

---

(١) الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ١٧ ، وللتوسع في ذلك يراجع :

سنن أبي داود : ٣/ ١١٩ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٨٨ ، مجمع الزوائد : ٦/ ٨٢ ، عيون الأثر : ١/ ٢٥٧ ، دلائل النبوة لأبي نعيم : ٢/ ٦١٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤/ ٦٢٤ ، الدر المنثور للسيوطي : ٤/ ٣٤٨ ، تفسير الطبري : ١٧/ ٩٩ ، تفسير النسفي : ٣/ ١٤٨ ، تفسير البغوي : ٣/ ٢٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٧/ ٨٦ ، الكشاف للزمخشري : ٣/ ١٤٨ ، تفسير الخازن : ٥/ ٧ .

فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة : ١٨ـ٢٠] .

وفي أسباب نزول هذه الآيات يقول الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنا أحدُّ منك سناناً ، وأبسط منك لساناً ، وأملأ للكتيبة منك ، فقال له علي : اسكت فإنما أنت فاسق ، فنزل : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨] . قال : يعني بالمؤمن علياً ، وبالفاسق الوليد بن عقبة[1] .

ورحم الله أحد أئمة المالكية عندما قال :

أحبّ النبي المصطفىٰ وابن عمه ... علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا
همُ أهل بيتٍ أُذهب الرجس عنهمُ ... وأطلعَهُم أفقُ الهدىٰ أنجماً زُهرا
موالاتهم فرضٌ علىٰ كل مسلمٍ ... وحبُّهم أسنىٰ الذخيرة للأخرىٰ

٨ـ في سورة الأحزاب :

حديث موجه إلىٰ نساء النبي ﷺ ، أوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٣٦٧ ، ومثله عند السيوطي في أسباب النزول : ٢٩٢ .

صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢٨ـ٣٤] .

وضمن هذا الحديث تأتي آية فيها ذكر أهل البيت ، ليكون من جراء ذلك خلاف كبير بين العلماء : هل المقصود فيهم زوجات النبي؟ هل هم آل البيت دون زوجات النبي ﷺ ، وما هو السر في وضع هذه المداخلة بين جانبي الحديث القرآني عن زوجات رسول الله ؟ فقال تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

لو عدنا إلىٰ أسباب نزول هذه الآيات نجد خلافاً أيضاً في ذلك ، يقول الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ . قال : نزلت في خمسة : في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم جميعاً .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خريزة[1]

---

(١) البرمة : القدر ، والخريزة : طعام لهم ، كانوا يأخذون قطع اللحم الصغيرة ويضعونها في القدر مع الماء والملح ، فإذا ما نضجت ذروا عليها الدقيق وعصدوها به ، ثم وضعوا عليها الإدام ، ولا يسمون ذلك خريزة إلا إذا كان فيها لحم ، فإذا =

فدخلت بها عليه فقال لها : « ادعي لي زوجك وابنيك » قالت : فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخريزة ، وهو علىٰ منامةٍ له ، وكان تحته كساء خيبري .

قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يديه فألوىٰ بهما إلىٰ السماء ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ـ وحاميتي ـ فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

قالت : فأدخلت رأسي البيت ، فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ، قال : « إنك علىٰ خيرٍ إنك علىٰ خيرٍ » .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وعن عكرمة في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ . . . ﴾ قال : ليس الذي تذهبون إليه ، إنما هي في أزواج النبي ﷺ ، قال : وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق[1] .

إذاً :

أمام هذا الاختلاف في تفسير هذه الآية ، فلنعد إلىٰ الأصول للتوثيق والدقة .

الإمام مسلم في صحيحه : (٢/ ٤٥٧) ، والحاكم في مستدركه :

= لم يكن فيها لحم سموها عصيدة : [لسان العرب لابن منظور : ٥/ ٣١٨] .

(١) أسباب نزول القرآن : ٣٧٤ـ٣٧٥ .

(١٤٧/٣) ، والترمذي في سننه : (٣٢٨/٥) ، والطبراني في معجمه الكبير : (٣٣٤/٢٣) ، والحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل : (١٩/٢) ، والإمام أحمد : (٥٧٧/٢) ، والهيثمي في مجمع الزوائد : (١٧٢/٩) ، والقاضي عياض في الشفاء : (٤٨/٢) ، والإمام نور الدين السمهودي في جواهر العقدين (١٤٣/٢) ، وغيرهم : اتفقوا علىٰ أن هذه الآية نزلت في أهل البيت ، وهم أهل الكساء الخمسة .

ولحديث الكساء هذا روايات عديدة تؤكد أن أهل البيت هم الخمسة ، من ذلك ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أنه قال : لما نظر رسول الله ﷺ إلىٰ الرحمة هابطة قال : « ادعوا لي ، ادعوا لي » فقالت صفية : من يا رسول الله؟ قال : « أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين » . فجيء بهم ، فألقىٰ عليهم النبي ﷺ كساءه ثم رفع يديه ثم قال :

« اللهم هؤلاء آلي فصلّ علىٰ محمد وآل محمد » وأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ . . . ﴾ الآية[1] .

وروىٰ مسلم والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مِرْط مُرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ، ثم قرأ آية الأحزاب[2] .

---

(١) مستدرك الحاكم علىٰ الصحيحين : ١٤٧/٣ .

(٢) صحيح مسلم : ١٣٠/٧ ، مستدرك الحاكم : ١٤٧/٣ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي : ١٤٩/٢ ، تفسير الطبري : ٥/٢٢ ، تفسير ابن كثير : ٤٨٥/٣ ، الدر المنثور : ١٩٨/٥ .

وروىٰ مسلم عن زيد بن أرقم عندما سئل : من هم أهل بيته؟ نساؤه؟ قال : لا ، وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلىٰ أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : شهدت رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة فيقول : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ » كلّ يوم خمس مرات[2] .

وبالتالي أصبح أمر الكساء من باب إقامة الحجة علىٰ من ينكر فضل أهل البيت!!

وقد روىٰ الحاكم في باب فضائل الحسن بن علي ، والهيثمي في باب فضائل أهل البيت أن الحسن بن علي خطب الناس حين قتل علي وقال في خطبته :

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي وأنا ابن النبي وأنا ابن الوصيّ وأنا ابن البشير وأنا ابن النذير وأنا ابن الداعي إلىٰ الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . . .[3] .

---

(١) صحيح مسلم : ٧/ ١٣٣ .
(٢) الدر المنثور : ٥/ ١٩٩ .
(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين : ٣/ ١٧٢ .

وروىٰ النسائي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال :

أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟

فقال : ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبّه لئن يكون لي واحدة أحبّ إليّ من حمر النعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وخلّفه في بعض مغازيه ، فقال له علي : يا رسول الله : أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله : « أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبوة بعدي » وسمعته يقول يوم خيبر : « لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » . فتطاولنا إليها ، فقال : « ادعوا علياً » فأُتي به أرمد فبصق في عينيه ، ودفع الراية إليه ، ولما نزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي »[1] .

وروىٰ الطبري ، والإمام أحمد ، والحاكم ، والبيهقي ، والطحاوي ، والهيثمي عن أبي عمار قال : إني لجالس عند واثلة بن الأسقع رضي الله عنه إذ ذكروا علياً فشتموه فلمّا قاموا قال : اجلس حتىٰ أخبرك عن هذا الذي شتموه ، إني عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقىٰ عليهم كساء له ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »[2] .

---

(١) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : ٤ .

(٢) تفسير الطبري : ٦/٢٢ ، مسند الإمام أحمد : ١٠٧/٤ ، مشكل الآثار للطحاوي : ٣٤٦/١ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ١٦٧/٩ ، مستدرك الحاكم : ٤١٦/٢ ، سنن البيهقي : ١٥٢/٢ ، تفسير ابن كثير : ٤٨٤/٣ .

وروىٰ الإمام أحمد والطبري والطحاوي عن شهر بن حوشب (ت١١٢هـ) قال : سمعت أم سلمة رضي الله عنها حين جاء نعي الحسين بن علي رضي الله عنهما فلعنت أهل العراق ، فقالت : قتلوه قتلهم الله ، غرّوه وذلّوه لعنهم الله ، فإني رأيت رسول الله ﷺ . . .إلىٰ أن قالت ـ فاجتذب كساء خيبرياً ، فلفّه النبي صلوات الله عليه وقال : « اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »[1] .

وروىٰ أبو المؤيد ، الموفق بن أحمد ، أخطب خوارزم الخوارزمي (ت٥٦٨هـ) :

لما حُمل السجّاد رضي الله عنه مع سائر سبايا أهل البيت إلىٰ الشام بعد مقتل سبط رسول الله ﷺ الحسين رضي الله عنه ، وأوقفوا علىٰ مدرج جامع دمشق في محل عرض السبايا دنا منه شيخ وقال : الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح العباد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم!!

فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه : يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال : نعم .

قال : أقرأت هذه الآية : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ : ٢٣] .

قال الشيخ : قرأتها .

قال : وقرأت قوله تعالىٰ : ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٩٨/٦ ، تفسير الطبري : ٦/٢٢ ، مشكل الآثار : ٣٣٥/١ .

وقوله أيضاً : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال : ٤١] .

قال الشيخ : نعم .

فقال : نحن والله القربىٰ في هذه الآيات .

وهل قرأت قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ .

قال : نعم .

قال : نحن أهل البيت الذي خُصّصنا بآية التطهير .

قال الشيخ : بالله عليك أنتم هم؟

قال : وحق جدّنا رسول الله إنا لنحن هم؟! من غير شك .

فبقي الشيخ ساكتاً نادماً علىٰ ما تكلم به ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال : اللهم إني أتوب إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس[1] .

وفي هذا الصدد يقول المحدث الشهير أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله تعالىٰ :

(ثم هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها علىٰ غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدأت بـ ﴿إنما﴾ المفيدة لحصر إرادته تعالىٰ في أمرهم علىٰ إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك

---

(١) مقتل الخوارزمي ، ط ؛النجف : ٢/ ٦١ ، وروىٰ الطبري وابن كثير والسيوطي في كتب التفسير جزءاً من تلك القصة : [الدر المنثور : ٥/ ١٩٩ ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٨٦ ، تفسير الطبري : ٢٢/ ٧] .

فيما يجب الإيمان به عنهم وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة .

وسيأتي في بعض الطرق تحريمهم علىٰ النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه إلهام الإنابة إلىٰ الله تعالىٰ ، وإدامة الأعمال الصالحة ، ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكاً ـ ولذا لم تتم للحسن ـ عُوضوا عنها بالخلافة الباطنة ، حتىٰ ذهب قوم إلىٰ أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم ، وممن قال : يكون من غيرهم الأستاذ أبو العباس المرسي كما نقله تلميذه التاج بن عطاء الله .

ومن تطهيرهم تحريم صدقة الفرض ـ بل النفل علىٰ قول لمالك ـ عليهم لأنها أوساخ الناس مع كونها تنبىء عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه ، ومن ثم كان المعتمد دخول أهل بيت النسب في الآية ، ولذا اختصوا بمشاركته ﷺ في تحريم صدقة الفرض والزكاة والنذر والكفارة وغيرهما .

وخالف بعض المتأخرين فبحث أن النذر كالنفل وليس كما قال ، وأشار ﷺ بحرمة النفل وإن كان علىٰ جهة عامة أو غير متقوم علىٰ الأصح ، واختار الماوردي حل صلاته في المساجد وشربه من سقاية زمزم وبئر رومة .

واستدل الشافعي رضي الله عنه لحلّ النفل لهم بقول الباقر رضي الله عنه لما عوتب في شربه من سقايات بين مكة والمدينة : إنما حرم علينا الصدقة المفروضة .

ووجهه أن مثله لا يقال من قبل الرأي لتعلقه بالخصائص فيكون مرسلاً ، لأن الباقر تابعي جليل ، وقد اعتضد مرسله بقول أكثر أهل العلم .

وتحريم ذلك يعم بني هاشم والمطلب ومواليهم وقيل : وأزواجه ، وهو ضعيف وإن حكىٰ ابن عبد البر الإجماع عليه ، ولزوم نفقتهن بعد الموت لا يحرم الأخذ إلا من جهة الفقر والمسكنة بخلافه بجهة أخرىٰ ، كدين أو سفر كما هو مقرر في الفقه ، وفي خبر أنها تحل لبعض بني هاشم من بعض لكنه ضعيف مرسل فلا حجة فيه .

وشربه ﷺ من سقاية زمزم واقعة الحالة تحتمل أن الماء الذي فيها من نزعه ﷺ أو نزع مأذونه فلم يتحقق أنه من صدقة العباس ، وحكمة ختم الآية بتطهير المبالغة في وصولهم لأعلاه وفي رفع التجوز عنه ، ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاب المفيد إلىٰ أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف .

ثم أكد ﷺ ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله : « اللهم هؤلاء أهل بيتي . . . » وبإدخاله نفسه معهم في العدّ لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه .

بل في رواية أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلىٰ علي قدرهم ، وأكده أيضاً بطلب الصلاة عليهم بقوله : « فاجعل صلاتك » إلى آخر ما مر ، وأكد أيضاً بقوله : « أنا حرب لمن حاربهم » إلىٰ آخره ، وفي رواية أنه قال بعد ذلك : « ألا من آذىٰ قرابتي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذىٰ الله تعالىٰ » وفي أخرىٰ : « والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ بي حتىٰ يحبني ، ولا يحبني حتىٰ يحب ذويَّ » فأقامهم مُقام نفسه .

ومن ثم صحّ أنه ﷺ قال : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي » وألحقوا به أيضاً في قصة المباهلة في آية :

﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ . . . ﴾[1] [آل عمران : ٦١] . فغدا ﷺ محتضناً الحسن آخذاً بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهؤلاء هم أهل الكساء ، فهم المراد في آية المباهلة ، كما أنهم من جملة المراد بآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ فالمراد بأهل البيت فيها وفي كل ما جاء في فضلهم أو فضل الآل أو ذوي القربىٰ جميع آله ﷺ وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب ، وخبر « آلي كل مؤمن تقي » ضعيف بالمرة ، ولو صحّ لتأيد به .

وجمع بعضهم بين الأحاديث بأن الآل في الدعاء لهم في نحو الصلاة يشمل كل مؤمن تقي ، وفي حرمة الصدقة عليهم مختص بمؤمن بني هاشم والمطلب ، وأيد ذلك الشمول بخبر البخاري : « ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مأدوم ثلاثاً ، اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » وفي قول : أن الآل هم الأزواج والذرية فقط)[2] .

ولعل في ذكر المزيد من أقوال العلماء ما يوصلنا إلىٰ وضوح للفكرة .

فالإمام المقريزي رحمه الله تعالىٰ ينقل طائفة كبيرة من أقوال السابقين في مسألة تحديد آل البيت ، من ذلك قوله : (بعد ذكره لبعض الأحاديث التي مرت معنا والتي تحدد آل البيت بأهل الكساء ـ وقال آخرون : بل عنىٰ بذلك أزواج النبي ﷺ ، ثم ذكر من طريق الأصبغ عن علقمة قال : كان عمر رضي الله عنه ينادي في السوق : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ

---

(١) وقد سبق الحديث عنها بشكل تفصيلي قبل عدة صفحات .

(٢) الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة ـ بتصرف واختصار ـ : ١٤٤ـ١٤٧ .

﴿ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال : نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة[1] .

واختلف الناس في أهل البيت مَنْ هم؟ فقال عكرمة ، ومقاتل ، وابن عباس رضي الله عنهم : هم زوجاته خاصة ، لا يدخل معهن رجل ، وذهبوا إلىٰ أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ[2] .

وقال ابن عطية : والذي يظهر لي أن زوجاته ﷺ لا يخرجن عن ذلك ألبتة ، فأهل البيت : زوجاته ، وبنته ، وبنوها ، وزوجها .

وهذه الآية ـ آية التطهير ـ تقتضي أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية فيهن ، والمخاطبة لهن .

وقال الإمام الثعلبي (ت٤٢٧هـ) رحمه الله تعالىٰ : قيل هم بنو هاشم ، فهذا علىٰ أن البيت يراد به بيت النسب ، فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم .

. . . والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت ، من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ لأن رسول الله ﷺ ، وعلياً ، وحسناً ، وحسيناً كانوا فيهم ، وإذا اجتمع المذكر ، والمؤنث غلّب المذكر ، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية فيهن ، والمخاطبة لهن ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

لكن العلامة سليمان الطوقي (ت٧١٦هـ) رحمه الله تعالىٰ يرد علىٰ ذلك بقوله : (وإذا ثبت مما ذكرناه من النص والإجماع أن أهل البيت علي وزوجته وولداه ، فما استدللتم به من سياق الآية ، ونظمه علىٰ

---

(١) تفسير الطبري : ٩/٢٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٤/٢٢ .

خلافه لا يعارضه لأنه مجمل يحتمل الأمرين ، وقصاراه أنه ظاهر فيما ادعيتم لكن الظاهر لا يعارض النص والإجماع .

ثم إن الكلام العربي يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المنتظم المتناسب كقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ [النمل : ٣٤ـ٣٥] . فقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ جملة معترضة من جهة الله تعالىٰ بين كلام بلقيس .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٥ـ٧٧] . أي فيها أقسم بمواقع النجوم ، إنه لقرآن كريم ، وما بينهما اعتراض علىٰ اعتراض ، وهو كثير في القرآن ، وغيره من كلام العرب ، فلم لا يجوز أن يكون قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ جملة معترضة متخللة لخطاب نساء النبي ﷺ علىٰ هذا النهج .

وأما العارف بالله محيي الدين محمد بن عربي (ت٦٣٨هـ) رحمه الله تعالىٰ ، فيقول :

(كل عبد إلهي توجه لأحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله تعالىٰ بقدر ذلك الحق فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عين سلطان به .

فلا يكون عبداً محضاً خالصاً لله تعالىٰ ، وهذا هو الرأي الذي رجح عند المنقطعين إلىٰ الله انقطاعهم عن الخلق ، ولزومهم السياحات ، والبراري والسواحل ، والفرار من الناس ، والخروج عن ملك الحيوان ، فإنهم يريدون بذلك الحرية من جميع الألوان .

ولما كان رسول الله ﷺ عبداً محضاً قد طهره الله تعالىٰ وأهل بيته

تطهيراً ، وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فإن الرجس القذر عند العرب كذا قال الفراء ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فلا يضاف إليهم إلا مطهر ولابد ، فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم .

فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس ، فهذه شهادة من النبي ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه بالطهارة والحفظ الإلٰهي والعصمة حيث قال فيه : « سلمان منا أهل البيت » وشهد الله لهم بالتطهير ، وذهاب الرجس عنهم ، وإذا كان لايضاف إليهم إلا مقدس مطهر ، وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة ، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون ، بل هم عين الطهارة .

فهذه الآية تدل علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ قد شرك أهل البيت مع رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

[الفتح : ٢] .

وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوضح؟!

فطهر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا لو وقع منه ﷺ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنىٰ ، لأن الذم لا يلحق به علىٰ ذلك من الله تعالىٰ ولا منا شرعاً ، فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذين من المذمة ، ولم يكن يصدق قوله : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فدخل الشرفاء أولاد فاطمة ، ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي إلىٰ يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران ، فهم المطهرون باختصاص من الله تعالىٰ ، وعناية بهم لشرف محمد ﷺ ، وعناية الله سبحانه به .

فينبغي لكل مسلم ، مؤمن بالله وبما أنزله أن يصدق الله تعالىٰ في

قوله : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت رضي الله عنهم أن الله تعالىٰ قد عفا عنهم فيه .

ولا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة ، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله تعالىٰ بتطهيرهم وإذهاب الرجس لا بعمل عملوه ، ولا بخير قدموه بل سابق عناية واختصاص إلهي : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

وإذا صحّ الخبر الوارد في سلمان رضي الله عنه ، فله هذه الدرجة ، فإنه لو كان سلمان علىٰ أمر يشنؤه[1] . الله وتلحقه المذمة من الله تعالىٰ بلسان الذنب عليه لكان مضافاً إلىٰ أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس ، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم ، وهم المطهرون بالنص ، فسلمان منهم بلا شك .

وإذا كانت مرتبة مخلوق عند الله بهذه المثابة أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم ، وشرَفُهُم ليس لأنفسهم ، وإنما لله تعالىٰ هو الذي اجتباهم وكساهم حلل الشرف ، فكيف بمن له المجد والشرف التام لنفسه ، فهو المجيد سبحانه وتعالىٰ ، فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده ، وهم الذين لا سلطان ولا مُلْك لمخلوق عليهم في الآخرة ، قال تعالىٰ لإبليس : ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ [الحجر : ٤٢] . فأضافهم إليه : ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] .

وما تجد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة ، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد ، فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منه القائمين بحقوق سيدهم .

---

(١) أي : يبغضه .

الواقعين عند مراسمه وحدوده ، فشرفهم أعلىٰ ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام .

ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان رضي الله عنه شرف مقام هذا البيت ، فكان رضي الله عنه من أعلم الناس بما لله علىٰ عباده من الحقوق ، وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق .

وأقواهم علىٰ أدائها ، وفيه قال رسول الله ﷺ : « لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس » . وأشار إلىٰ سلمان الفارسي ، فسِرُّ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت مما أعطاه النبي ﷺ من أداء كتابته فهو عتيقه ﷺ ، ومولىٰ القوم منهم .

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله تعالىٰ ، وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلاً فإن الله تعالىٰ طهرهم ، فليعلم الذام لهم أن ذلك يرجع إليه ، ولو ظلموه فذلك الظلم في زعمه ظلم لا في نفس الأمر وإن حكم عليه ظاهرالشرع بأدائه ، بل حكم ظلمهم إيانا في الأمر يشبه جري المقادير علىٰ العبد في ماله ونفسه بغرق أو بحرق وغير ذلك من الأمور المهلكة ، أو يقع في النار فيحترق أو يموت له أحد أحبابه ، أو يصاب هو في نفسه ، وهذا كله مما لا يوافق غرضه ولايجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه ، ولكن ينبغي أن يقابل ذلك كله بالرضا والتسليم ، وإن نزل عن هذا المقام فبالصبر ، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر ، فإن في طي ذلك نعمة من الله تعالىٰ له وليس وراء ما ذكرناه خير ، فإنه ما وراءه إلا الضجر والتسخط ، ولذلك ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت رضي الله عنهم في ماله وفي أهله ، وفي عرضه وفي نفسه ، أن يقابله بالرضا والتسليم والصبر ، ولا يلحق بهم المذمة أصلاً ، وإن توجهت

عليهم الأحكام الشرعية من إقامة الحدود المشروعة ، فذلك لايقدح في هذا ، وإنما نمتنع من إلحاق الذم بهم وسبهم إذ قد ميّزهم الله تعالىٰ عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم .

وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله ﷺ يقترض من اليهود ، وإذا طالبوه بحقوقهم أداها علىٰ أحسن ما يمكن ، وقد قال ﷺ : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فذلك حق الله تعالىٰ ، ومع هذا لم يذمهم الله تعالىٰ ، وإنما كلامنا في حقوقكم ، وفيما لكم أن تطالبوهم به فلكم ذلك ، وليس لكم ذمهم ولا الكلام في أعراضهم ولا سبهم ، وإن نزلتم عن طلب حقوقكم ، وعفوتم عنهم فيما أصابوه منكم كان لكم بذلك عند الله اليد العظمىٰ والمكانة الزلفىٰ ، فإن النبي ﷺ ما سأل منهم إلا المودة في القربىٰ .

ومن لم يقبل سؤال نبيه ﷺ فما هو قادر عليه فبأي وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته ، وهو ما أسبق نبيه فيما سأله من المودة في قرابته ، ثم إنه جاء بلفظ المودة وهي الثبوت علىٰ المحبة ، فإن من ثبت علىٰ محبته استصحب المودة في كل حال ، وإذا استصحب المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت فيما يطرأ منهم في حقه مما لا يوافق غرضه ، ألا ترىٰ ما قاله المحب وما ذكر المودة التي هي أتم :

وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ

وقال الآخر :

أحــبُّ لحبِّهــا الســودانَ حتــىٰ أحــبُّ لحبِّهــا ســودَ الكــلابِ

وكانت الكلاب السود تناوشه ، وهو يتحبب إليها ، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله تعالىٰ ولا تورثه القربة

عند الله تعالىٰ ، فهل هذا إلا مِنْ صدق الحب ، وثبوت الود في النفس ، فلو أحببت الله تعالىٰ ورسوله ﷺ أحببت أهل بيت الرسول ﷺ ، ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك أنه جمال محض تتنعم بوقوعه منهم .

وتعلم أن لك عناية عند الله تعالىٰ حيث ذكرك من يحبه وهم أهل بيت رسول الله ﷺ ، ولو ذكروك بذم وسب فتقول : الحمد لله الذي أجراني علىٰ ألسنتهم ، وتزيد الله تعالىٰ شكراً علىٰ هذه النعمة ، فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة قد طهرها الله تعالىٰ بطهارة لم يبلغها علمك .

وإذا رأيناك علىٰ ضد هذه الحالة مع أهل بيت رسول الله ﷺ الذي أنت محتاج إليه ، وله عليك المنة حيث هداك به ، فكيف أثق أنا بودك إذ تزعم أنك شديد الحب فيّ والرعاية لجانبي ، وما ذاك علىٰ الحقيقة إلا من نقص إيمانك ، ومن مكر الله تعالىٰ ، واستدراجه بك حيث لا تعلم ، وصورة المكر فيه أن تقول وتعتقد أنك في ذلك ذابٌّ عن دين الله تعالىٰ وشرعه ، وإني ما طلبت إلا ما أباح الله تعالىٰ لي طلبه ، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع ، والبغض والمقت ، وأنت لا تشعر .

والدواء الشافي من هذا الداء العضال أنك لا ترىٰ لنفسك معهم حقاً ، بل تنزل عن حقك لئلا يندرج فيه ما ذكرت لك ، وما أنت من حكام المسلمين حتىٰ تقيم فيهم حدود الله تعالىٰ ، فلو كشف لك عن منازلهم في الآخرة عند الله تعالىٰ ، لوددت أن تكون مولىٰ من مواليهم ، والله يلهمنا رشد أنفسنا)[1] .

---

(١) الفتوحات المكية ـ بتصرف واختصار ـ : ١/ ١٩٣ـ ١٩٨ .

ورحم الله العارف الكبير صالح الجعفري عندما قال في آل بيت رسول الله ﷺ :

يـا آل أحمـد أنتـم الأمـراء ... والسـادة الأمجـاد والنقبـاء
ويفـوزُ مـادحُكـم وأنتـم سـادةٌ ... ولكم لدىٰ المولىٰ الكريم رجاء
حاشاكمُ أن تحرموا أحبابكم ... مـن فضلكـم ولـديكـم نعمـاء
فبسرّكم يُجلىٰ الفؤاد من الردىٰ ... وبنـوركـم تُجلـىٰ بـه الظلمـاء
حسـنٌ حسيـنٌ سيـدان وفضلهـم ... روحٌ لأربـاب النفـوس شفـاء
بـالله يـا أهـل التقـىٰ مـن نظـرةٍ ... أحيـا بهـا مـا دامـت الأحيـاء
أنتـم أحيبـابي وفـي رحبـاتكـم ... روحٌ لـروحـي عـاطـرٌ وضّـاء
وأشـمّ منكـم طيـب آل محمـدٍ ... إذ أنتـم منـه لـه أبنـاء
وسـراجكـم طـه المنيـرُ وأنتـمُ ... مـن نـوره والكـونُ والأشيـاء
أسماؤكم بالوحي ليست مثل من ... سمـاهـمُ الأجـداد والآبـاء

عليكم سلام الله يا من قال الله فيكم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] [الأحزاب : ٣٣] .

---

(١) وللتوسع في معانيها وتفسيراتها يراجع :
تفسير الطبري : ٥/٢٢ ، تفسير القرطبي : ١٦٦/٧ ، تفسير الكشاف : ٥٣٦/٣ ، تفسير الرازي : ٢٠٩/٢٥ ، تفسير البغوي : ٥٢٨/٣ ، تفسير النسفي : ٤٤٠/٣ ، تفسير ابن كثير : ٤٥١/٥ ، التفسير المنير للدكتور الزحيلي : ١١/٢٢ .

وبعد عدة آيات من هذه السورة يأتي التوجيه القرآني إلىٰ مسألة الصلاة علىٰ النبي ﷺ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

وفي أسباب نزول هذه الآية قال العلامة الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

(عن كعب بن عجرة قال : قيل للنبي ﷺ : قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ فنزلت هذه الآية .

وروىٰ الأصمعي قائلاً : سمعت المهدي علىٰ منبر البصرة يقول : إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنىٰ بملائكته . فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ . . . الآية ﴾ آثره ﷺ بها من بين سائر الرسل ، واختصكم بها من بين الأنام ، فقابلوا نعمة الله بالشكر .

وقال الإمام سهل بن محمد بن سليمان : هذا التشريف الذي شرف الله به نبينا محمداً ﷺ بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ . . الآية ﴾ أبلغ وأتم من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له ، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف ، وقد أخبر الله تعالىٰ عن نفسه بالصلاة علىٰ النبي ، ثم عن الملائكة بالصلاة عليه ، فتشريفٌ صدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة من غير جواز أن يكون الله معهم في ذلك)[1] .

لكن البحث في مسألة الصلاة عليه : كيفيتها ، وعلىٰ من أيضاً ، وممن و . . . ، فهذا مجال واسع ، لكن ما يهمنا في هذا المقام ما يدور حول آل البيت ، وقد شرح الإمام الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) رحمه الله تعالىٰ هذه الآية بما يزيد على عشرين صفحة!!!

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٣٨١ـ٣٨٢ .

ودعّم أقواله ـ كعادته ـ بأحاديث نبوية موثقة ، من ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

روىٰ البخاري عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة؟ قال : « قولوا اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

وروىٰ ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالوا يا رسول الله علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك؟ قال : « اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد »[1] .

وذكر الحافظ ابن حجر الهيتمي طائفة من الأحاديث والاستنباطات ، من ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

(لما أدخل النبي ﷺ أهل بيته في الكساء قال : « اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم » .

وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صلىٰ عليهم معه ، فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه .

ويروىٰ : « لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء ، فقالوا : وما الصلاة البتراء؟ قال : تقولون اللهم صل علىٰ محمد وتمسكون ، بل قولوا : اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد » .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥/ ٤٩٤ .

وروىٰ أبو داود : « من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفىٰ ، إذا صلىٰ علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل علىٰ النبي محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت علىٰ إبراهيم إنك حميد مجيد » .

وروىٰ الديلمي أنه ﷺ قال : « الدعاء محجوب حتىٰ يصلىٰ علىٰ محمد وأهل بيته » اللهم صل علىٰ محمد وآله الطيبين الطاهرين[1] .

ورحم الله الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ) الذي قال ـ ناقلاً عن الخطيب ـ :

(دخل يحيىٰ بن معاذ علىٰ علوي ببلخ أو بالري زائراً له ومسلّماً عليه ، فقال العلوي ليحيىٰ : ما تقول فينا أهل البيت؟

فقال : ما أقول في طين عجن بماء الوحي ، وغرست فيه شجرة النبوة ، وسُقي بماء الرسالة ، فهل يفوح منه إلا مسك الهدىٰ ، وعنبر التقىٰ ؟ !

فقال العلوي ليحيىٰ : إن زُرْتَنا فبفضلك ، وإن زرناك فلفضلك ، فلك الفضل زائراً ومزوراً)[2] .

محبة أهل البيت سرٌّ مطهرٌ ... يخصّ بها القلب المضيءُ المنور
ويحظىٰ بها مَنْ كمّل الله قدره ... وكان له من عالم الغيب مظهر
ومَنْ مثل هذا البيت في الفخر والعلىٰ ... وجدّهم طه الأمين وحيدر
فقل للذي أضحىٰ غبياً بشأنهم ... أتجهل قوماً وصفهم ليس يحصر
وهم أمن أهل الأرض والسادة الأولىٰ ... إذا ذكروا ما غيرهم قطّ يذكر

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٤٧ ـ ١٤٨ .
(٢) القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع : ١٢٤ـ١٢٥ .

ومن حبّهم يحمي وينجي من الردىٰ ... وبغضهم عن رحمة الله يدحر
وحسبُك ربُّ العرش أثنىٰ عليهم ... وهل فوق مدح الله عزّ ومفخر؟!

أجل ، أولئك هم آل بيت رسول الله ﷺ ، الذين لهم مكانة ومرتبة عالية بين بني البشر ، كيف لا؟ وعمود البيت هو حبيبنا محمد ﷺ .

أجل ، إن محبة آل البيت وإكرامهم والترحم عليه وودّهم واحترامهم ، إنما ذلك كله ينبع من محبة المؤمن بالله ورسوله ، وقد صدق الإمام علي رضي الله عنه بقوله :

لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد ، ولا يُسوّىٰ بهم من جَرَت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة[1] .

٩ـ في سورة الزمر :

يقول الله تعالىٰ : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر : ٢٢] .

قال الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده ، فعلي وحمزة رضي الله عنهما ممن شرح الله صدره ، وأبو لهب وأولاده الذين قست قلوبهم عن ذكر الله[2] .

وقال الإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٢٨هـ) رحمه الله تعالىٰ في تفسير هذه الآية :

---

(١) نهج البلاغة : ١/ ٣١ .
(٢) أسباب نزول القرآن : ٣٨٨ـ٣٨٩

﴿أفمن﴾ عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتىٰ انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ، ونور الله : هو لطفه ، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ، فقيل : يا رسول الله ، كيف انشراح الصدر؟ قال : « إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح » .

فقيل : يا رسول الله ، فما علامة ذلك؟

قال : « الإنابة إلىٰ دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت » .

والحديث أخرجه الثعلبي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه[1] .

وهذه اللفتة القرآنية قارنت بين أناس كبار ـ كسيدنا حمزة وسيدنا علي ـ شرح الله صدرهم فدخلت الأنوار إلىٰ شغاف قلوبهم ، لتكون حياتهم امتداداً لألطاف الله وأنواره ، واقتباساً من أنوار رسول الله ﷺ .

بينما في الطرف الآخر نموذج الكفر والعناد وقساوة القلب والبُعد عن الحق ، إنه أبو لهب ومن سار علىٰ دربه ، فهم يعيشون في الظلام الدامس دائماً وأبداً .

١٠ـ في سورة الشورىٰ :

يقول الله تعالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورىٰ : ٢٣] .

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١٢٢/٤ ، وللتوسع يراجع : تفسير البغوي : ٧٦/٤ ، تفسير النسفي : ٨٢/٤ ، تفسير ابن كثير : ٨٦/٦ .

وفي أسباب نزول هذه الآية قال الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ : قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت تنوبُه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فقال الأنصار : إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالىٰ به ، وهو ابن أختكم ، تنوبه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم ، فأتوه به ليعينه علىٰ ما ينوبه ، ففعلوا ثم أتوه به ، فقالوا : يا رسول الله ، إنك ابن أختنا وقد هدانا الله تعالىٰ علىٰ يديك ، وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك عندها سعة ، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا شيئاً فنأتيك به فتستعين به علىٰ ما ينوبك ، وها هو ذا ، فنزلت هذه الآية[1] .

وفي شرح هذه الآية يقول الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ) رحمه الله تعالىٰ :

فيه مسألتان :

الأولىٰ : قوله تعالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشورى : ٢٣] . أي : قل يا محمد لا أسألكم علىٰ تبليغ الرسالة جعلاً .

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . قال الزجاج : (إلا المودة) استثناء ليس من الأول ، أي إلا أن تودُّوني لقرابتي فتحفظوني ، والخطاب لقريش خاصة ، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو مالك والشعبي وغيرهم .

قال الشعبي : أكثرَ الناس علينا في هذه الآية فكتبنا إلىٰ ابن عباس نسأله عنها ، فكتب أن رسول الله ﷺ كان أوسط الناس في قريش ،

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٣٩٥ .

فليس بطنٌ من بطونهم إلا وقد وَلَدَه ، فقال الله له : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . إلا أن تودّوني في قرابتي منكم ، أي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدّقوني .

فـ ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ها هنا قرابة الرحم كأنه قال : اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة .

قال عكرمة : وكانت قريش تصل أرحامها فلما بُعث النبي ﷺ قطعته ، فقال : « صلوني كما كنتم تفعلون » فالمعنىٰ علىٰ هذا : قل لا أسألكم عليه أجراً لكن أذكركم قرابتي ، علىٰ استثناء ليس من الأول ، ذكره النحاس .

وفي البخاري عن طاووس عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالىٰ : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . فقال سعيد بن جُبير : قربىٰ آل محمد ﷺ ، فقال ابن عباس : عجلت! إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بينكم من القرابة ، فهذا قول . وقيل : القربىٰ قرابة الرسول ﷺ ، أي لا أسألكم أجراً إلا أن تودّوا قرابتي وأهل بيتي ، كما أمر بإعظامهم ذوي القربىٰ ، وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسُّدّي وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما أنزل الله تعالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين نودّهم؟ قال : « علي وفاطمة وأبناؤهما » .

ويدل عليه أيضاً ما روي عن علي رضي الله عنه قال : شكوت إلىٰ النبي ﷺ حسد الناس لي ، فقال : « أما ترضىٰ أن تكون رابع أربعة أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا » .

وعن النبي ﷺ قال : « قال لي جبريل : قلبت مشارق الأرض ومغاربها ، فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم »[1] .

وقال الحسن وقتادة : المعنىٰ إلا أن يتوددوا إلىٰ الله عز وجل ويتقربوا إليه بطاعته ، فـ ﴿القربىٰ﴾ علىٰ هذا بمعنىٰ القربة ، يقال : قُرْبَة وقُربىٰ بمعنىٰ . كالزلفة والزلفىٰ .

وقال قوم : الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة ، وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ، وأمرهم الله بمودّة نبيه ﷺ ، فلما هاجر آوته الأنصار ونصروه ، وأراد الله أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء حيث قالوا : ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الشعراء : ١٠٩] .

فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾

[سبأ : ٤٧] .

فنسخت بهذه الآية وبقوله : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] .

وقوله : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ [المؤمنون : ٧٢] .

وقوله : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [الطور : ٤٠] .

وعن العباس قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر ، فقال : « من أنا ؟ » قالوا : أنت رسول الله ، فقال ﷺ : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد

---

(١) رواه أحمد .

المطلب . إن الله خلق الخلق ، فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً »[1] .

وقال ﷺ : « أول مَنْ أشفعُ له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ، ثم الأنصار ، ثم مَنْ آمن بي واتبعني من اليمن ، ثم سائر العرب ، ثم الأعاجم ، ومَنْ أشفع له أولاً أفضل »[2] .

قال النحاس : ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة ، قال : كانوا يصلون أرحامهم فلما بعث النبي ﷺ قطعوه فقال : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودّوني وتحفظوني لقرابتي ولا تكذبوني » .

قلت : وهذا هو معنىٰ قول ابن عباس في البخاري والشعبي عنه بعينه ، وعليه لا نسخ ، قال النحاس : وقول الحسن حسن ، ويدل علىٰ صحته الحديث المسند عن رسول الله ﷺ كما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال أخبرنا الربيع بن سليمان المرادي قال أخبرنا أسد بن موسىٰ قال حدثنا قَزَعة ـ وهو ابن يزيد البصري ـ قال حدثنا عبد الله بن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال :

« لا أسألكم علىٰ ما أنبئكم به من البينات والهدىٰ أجراً إلا أن توادّوا الله عز وجل وأن تتقربوا إليه بطاعته » .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه الطبراني والدارقطني .

فهذا المبيّن عن الله عز وجل قد قال هذا ، وكذا قالت الأنبياء صلىٰ الله عليهم وسلم قبله : ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس : ٧٢] .

وأما قوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ أي يكتسب ، وأصل القرف الكسب ، يقال : فلان يَقْرف لعياله ، أي يكسب ، والاقتراف الاكتساب ، وهو مأخوذ من قولهم رجل قرفة ، إذا كان محتالاً .

وقال ابن عباس (ومن يقترف حسنة) قال المودة لآل محمد ﷺ (نزد له فيها حسناً) أي نضاعف له الحسنة بعشر فصاعداً .

(إن الله غفور شكور) قال قتادة : غفور للذنوب ، شكور للحسنات ، وقال السدي : غفور لذنوب آل محمد عليه السلام ، شكور لحسناتهم[1] .

ورحم الله الإمام الشافعي عندما قال :

وما زال كتمانيك حتىٰ كأنني ... بردّ جواب السائلين لأعجم
وأكتم ودّي مع صفاء مودّتي ... لتسلم من قول الوشاة وأسلم

قال العلامة أحمد محمد الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) رحمه الله تعالىٰ :

(لقد اقتضت الأدلة علىٰ تحريم بغض أهل بيت النبوي ووجوب محبتهم ، قال البغوي[2] في الرد علىٰ من نسخ قوله تعالىٰ : ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ـ باختصار وتصرف ـ : ١٦/ ١٥ـ٢٧ .
(٢) تفسير البغوي ـ معالم التنزيل ـ : ٤/ ١٢٥ .

إن مودة النبي ﷺ ومودّة أقاربه من فرائض الدين .

وفي كتاب توثيق عرىٰ الإيمان للبارزي (ت٨٣٨هـ) نقلاً عن الشيخ العارف بالله تعالىٰ أبي الحسن الحراني في كلامه علىٰ الإيمان بخير الأنام ﷺ أن خواصّ العلماء رحمهم الله تعالىٰ من هذه الأمة يجدون لأجل اختصاصهم بهذا الإيمان حلاوةً ومحبةً خاصة لنبيهم وتقدّماً له في قلوبهم حتىٰ يجدوا الشارة علىٰ أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ويحبون لحبّه قرابته وذرية صحابته ويجدون لهم في قلوبهم مزيّةً علىٰ غيرهم ويستحبون أن يعينوهم ويدنوهم رعايةً لآبائهم وعلماً باصطفاء نطفهم الكريمة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور : ٢١] .

فلا يكونون عندهم كمن ليست له سابقة ، قال : وبالحقيقة لا يعدّ من المؤمنين من لم يجد رسول الله ﷺ وذريته أحبّ إليه وأعز عليه من أهله وولده والناس أجمعين .

ثم قال في موضع آخر : ومن علامات محبته ﷺ محبة ذريته وإكرامهم والإغضاء عن انتقادهم ، فما انتقد ذرية محمد ﷺ محبّ لمحمد قط!!!

ويرحم الله الكميت الأسدي حين قال :

طربت وما شوقاً إلىٰ البيض أطرب ... ولا لعباً وذو الشيب يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطرّبني بنان مخضب
ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تعرّض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشيةً ... أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب
ولكن إلىٰ أهل الفضائل والتقىٰ ... وخير بني حوّاء والخير يطلب

إلىٰ النفر البيض الذين بحبهم ... إلىٰ الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي وأهله ... بهم ولهم أرضىٰ مراراً وأغضب
فما لي إلا آل أحمد شيعة ... وما لي إلا مذهب الحق مذهب
بأي كتاب أم بأية سنّة ... ترىٰ حبّهم عاراً عليّ وتحسب؟
وجدنا لكم في آل حاميم آيةً ... تأوّلها منا تقيّ ومعرب
علىٰ أيّ جرم أم بأية سيرة ... أعنّف في تقريظهم وأكذّب؟
ألم ترني من حبّ آل محمد ... أروح وأغدو خائفاً أترقب؟!
فطائفة قد كفّرتني بحبّهم!! ... وطائفة قالت : مسيء ومذنب!!)[1]

ورحم الله الفخر الرازي حين لفت الانتباه إلىٰ شيء آخر عندما قال :

(فثبت أن هؤلاء الأربعة ـ علي وفاطمة والحسن والحسين ـ رضي الله عنهم أقارب النبي ﷺ ولذلك فإن لهم ميزة عظيمة يختصون بها ، ويدل علىٰ هذا وجوه :

الأول : قوله تعالىٰ : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . ووجه الاستدلال فيه واضح تماماً .

الثاني : لا شك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة ، قال ﷺ : « فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها » .

وثبت بالنقل المتواتر أن رسول الله ﷺ كان يحب علياً والحسن والحسين ، وإذا ثبت ذلك وجب علىٰ كل الأمة مثله ، لقوله تعالىٰ : ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

---

(١) تفسير آية المودة : ١٦٥ـ١٦٦ .

ولقوله تعالىٰ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور : ٦٣] .

ولقوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

ولقوله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

الثالث : أن الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله : « اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد وارحم محمداً وآل محمد » .

وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدل علىٰ أن حب آل محمد واجب)[1] .

وقد وردت في ذلك أحاديث نبوية شريفة ، من ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

لما نزلت : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت لنا مودتهم؟

قال : « علي وفاطمة والحسن والحسين »[2] .

وفي جواهر العقدين : (أخرج أبو الشيخ بن حبان في كتابه الثواب من طريق الواحدي عن أبي هاشم الزماني عن زادان عن عليّ كرم الله وجهه قال :

---

(١) التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب ـ : ١٤/ ١٦٥ـ١٦٧ .

(٢) للحديث روايات عديدة : صحيح البخاري : ٦/ ٣٧ ، صحيح مسلم : ٥/ ٢٧ ، مسند الإمام أحمد : ٢/ ٦٦٩ ، حلية الأولياء لأبي نعيم : ٣/ ٢٠١ ، المعجم الكبير للطبراني : ٣/ ٤٧ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ٧/ ١٥٣ ، شواهد التنزيل للحسكاني : ٢/ ١٣٤ .

فينا آل ﴿حم عسق﴾[1] آية لا يحفظها من مودتنا إلا كل مؤمن ، ثم قرأ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ .

وأخرج الملا في سيرته ، وقاله المحب الطبري :

إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله جعل أجري عليكم المودة في القربىٰ وإني سائلكم غداً عنها » .

وفي المناقب : عن محمد الباقر رضي الله عنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ [سبا : ٤٧] . يقول :

الأجر الذي هو المودّة في القربىٰ التي لم أسألكم غيرها فهو لكم ، تهتدون بها ، وتسعدون بها ، وتنجون من عذاب الله يوم القيامة .

فالمودة مشتقة من الود ، وهو الحب القوي الدائم الثابت .

وأخرج أبو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتىٰ يُسْأَل عن عمره فيما أفناه ، وعن ماله ممّ كسبه وفيم أنفقه ، وعن حبّنا أهل البيت » .

أيضاً أخرجه جماعة منهم الترمذي عن بريدة الأسلمي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح[2] .

وأخرج المحب الطبري أن الحسن بن علي رضي الله عنهما خطب فقال في خطبته : أنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم علىٰ كل

---

(١) المقصود بها أوائل سورة الشورىٰ : /١/ .

(٢) سنن الترمذي رقمه (٢٤١٧) ، سنن الدارمي : ١/ ١٣٥ .

مسلم ، فقال لنبيه ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾[1] [الشورى: ٢٣] .

ورحم الله القائل :

هُمُ القومُ مَنْ أصفاهم الوُدَّ مخلصاً ... تمسّك في أخراه بالسبب الأقوىٰ
هم القومُ فاقوا العالمين مناقباً ... محاسنُهُم تُحكىٰ وآياتُهم تُروىٰ
موالاتهم فرضٌ وحُبُّهم هُدىٰ ... وطاعتهم ودٌّ وودّهُمُ تقوىٰ

١١ـ في سورة الطور :

قول الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور : ٢١] .

وفي بيان ما تهدف إليه هذه الآية ، قال العلامة تقي الدين أحمد علي المقريزي (ت٨٤٥هـ) :

(وقد اختلف الناس في معنىٰ الآية علىٰ ثلاثة أقوال :

أحدها ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن جبير ، والجمهور : أخبر الله تعالىٰ أن المؤمنين الذين تتبعهم ذريتهم في الإيمان ، فيكونون مؤمنين كآبائهم ، وإن لم يكونوا في التقوىٰ والأعمال كالآباء فإنه يلحق الأبناء بمراتب أولئك الآباء كرامة للآباء .

---

(١) للتوسع يراجع : جواهر العقدين في فضل الشرفين للإمام نور الدين السمهودي : ٣١٧ـ٣١٩ وللتوسع في شرح آية المودة يراجع : الكشاف للزمخشري : ٤/ ٢٢١ ، تفسير ابن كثير : ٦/ ١٩٦ ، تفسير الطبري : ٢٥/ ٢٢ ، تفسير البغوي : ٤/ ١٢٤ ، تفسير النسفي : ٤/ ١٥٤ ، الدر المنثور للسيوطي : ٧/ ١٤٦ ، الصواعق المحرقة لابن حجر : ١٦٩ .

وقد ورد في هذا المعنىٰ حديث عن النبي ﷺ ، فجعلوا الحديث تفسير الآية ، وهو ما رواه جبارة بن المغلس ، حدثنا قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته ، وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ قال : ما أنقصنا الآباء بما أعطيناه البنين[1] .

قال ابن عطية : وكذلك وردت أحاديث تقتضي أن الله تعالىٰ رحم الآباء رعياً للأبناء الصالحين .

ثانيها ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً والضحاك : معنىٰ هذه الآية أن الله تعالىٰ ألحق الأبناء الصغار بأحكام الآباء المؤمنين ، يعني الموارثة والدفن في قبور المسلمين ، وفي أحكام الآخرة ، وفي الجنة .

ومعنىٰ هذا القول : أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم ، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء ، لأن الولد يُحْكَم له بالإسلام تبعاً لوالديه ، فيكون معنىٰ الآية علىٰ هذا : واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ، أي إن بلغت أن آمنت ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان .

ثالثها ـ ذهب بعض الناس إلىٰ إخراج هذا المعنىٰ من هذه الآية ، وذلك لا يترتب إلا بأن يجعل اسم الذرية بمثابة نوعهم علىٰ نحو ما هو في قوله تعالىٰ : ﴿ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [يس : ٤١] .

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري : ٢٧/ ٢٤ .

وقال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه : إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله تعالىٰ الأبناء إلىٰ درجة الآباء ، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلىٰ درجة الأبناء[1] .

وهذا القول اختيار الفرّاء ، والآباء علىٰ هذا القول داخلون في اسم الذرية ، ويجوز ذلك ، كما قيل في قوله تعالىٰ : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ وقال ابن عطية : وفي هذا نظر .

وحكىٰ أبو حاتم عن الحسن أنه قال : الآية في الكبار من الذرية ، وليس فيها من الصغار شيء .

وحكىٰ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري قولاً معناه أن الضمير في قوله ﴿بهم﴾ عائد علىٰ الذرية ، والضمير الذي بعده في ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ عائد علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي : اتبعتهم الكبار ، وألحقنا نحن بالكبار الصغار[2] .

قال المقريزي : خرّج الحاكم من حديث عبد الرزاق عن سفيان الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال : إن الله عز وجل يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة ، وإن كانوا دونه في العمل ، ثم قرأ : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ .

وروىٰ شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال : يدخل الرجل الجنة فيقول :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧/ ٦٧ .
(٢) تفسير الطبري : ٢٧/ ٢٦ .

أين أبي؟ أين أمي؟ أين ولدي؟ أين زوجتي؟

فيقال له : لم يعملوا مثل عملك .

فيقول : كنت أعمل لي ولهم!!

فيقال لهم : ادخلوا الجنة ، ثم قرأ : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾ [الرعد : ٢٣] .

قال المقريزي رحمه الله تعالىٰ : فإذا أكرم الله تعالىٰ المؤمن لإيمانه ، فجعل ذريته الذين لم يستحقوا درجته معه في الجنة لتقصيرهم ، فالمصطفىٰ ﷺ أكرم علىٰ ربه تبارك وتعالىٰ من أن يهين ذريته بإدخالهم النار في الآخرة ، وهو عز وجل يقول : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ ﴾ [آل عمران : ١٩٢] .

بل من كمال شرفه ﷺ ورفيع قدره ، وعظيم منزلته عند الله عز وجل أن يقر الله سبحانه وتعالىٰ عينه بالعفو عن جرائم ذريته ، والتجاوز عن معاصيهم ، ومغفرة ذنوبهم ، وأن يدخلهم الجنة من غير عذاب جهنم)[1] .

ويؤيد ذلك أحاديث نبوية شريفة ، من ذلك ما أخرجه الديلمي بالسند المتصل إلىٰ عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربي ألاّ يدخل النار أحد من أهل بيتي فأعطاني ذلك »[2] .

وما أخرجه الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال : قال

---

(١) فضل آل البيت : ٥٦ـ٦٠ بتصرف واختصار .

(٢) الفردوس رقمه (٣٤٠٣) ، وكنز العمال للمتقي الهندي رقمه (٣٤١٤٩) .

رسول الله ﷺ : « وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ، ولي بالبلاغ : ألاّ يعذبهم »[1] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « اللهم إنهم عترة رسولك ، فهب مسيئهم لمحسنهم ، وهبهم لي ففعل وهو فاعل ، قال قلت : ما فعل؟ قال : فعله ربكم بكم ويفعله بمن بعدكم »[2] .

وعن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه : « إن أول أربعة يدخلون الجنة : أنا ، وأنت ، والحسن ، والحسين ، وذرياتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرياتنا ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا »[3] .

وفي كتب التفسير والصحاح والسنن وغيرها الكثير الكثير من ذلك[4] .

ويرحم الله القائل في مدح آل بيت رسول الله ﷺ :

يا أهل بيت المصطفىٰ عجباً ... يأبىٰ مديحكم من الأقوام
والله قد أثنىٰ عليكم قبلها ... وبهديكم شدت عرىٰ الإسلام
الله يحشر كل من عاداكم ... يوم الحساب مزلزل الأقدام

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣/١٦٣ .
(٢) ذخائر العقبىٰ للمحب الطبري : ٢٠ـ٢١ .
(٣) المعجم الكبير للطبراني : ٣/٤١ .
(٤) للتوسع في ذلك يراجع :
البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي : ٩/٥٦٩ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧/٦٦ ، الكشاف للزمخشري : ٤/٤١٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦/٤٣٢ ، تفسير البغوي : ٤/٢٣٨ ، تفسير النسفي : ٤/٢٧٩ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري : ٢٧/٢٦ .

١٢ـ في سورة المجادلة :

يقول الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المجادلة : ١٢ـ١٣] .

وفي أسباب نزول الآية يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ :

أخرج الترمذي وحسّنه ، وغيره ، عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ . . . الآية ﴾ قال لي النبي ﷺ : ما ترىٰ؟ دينارٌ ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال : فنصف دينار؟ قلت : لا يطيقونه . قال : فكم؟ قلت : شعيرة ، قال : إنك لزهيد ، فنزلت : ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ . . الآية ﴾ فبي خفف الله عن هذه الأمة ، وقال الترمذي : حديث حسن[1] .

بينما يرىٰ الإمام الواحدي في أسباب نزول الآية شيئاً آخر ، قال :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن في كتاب الله لآيةً ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ ﴾ كان لي دينار فبعته بدراهم ، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتىٰ نفد ، فنسخت بالآية الأخرىٰ : ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾[2] .

لكن الزمخشري يضيف علىٰ ذلك بقوله :

---

(١) أسباب النزول : ٣٧٠ . والترمذي برقم (٣٣٠٠). و«شعيرة» : أي : وزن شعيرة من ذَهَب.

(٢) أسباب نزول القرآن : ٤٣٨ .

قال الكلبي : تصدّق علي بن أبي طالب بالدينار في عشر كلمات سألهن رسول الله ﷺ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : كان لعليّ ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إليّ من حمر النعم : تزويجه فاطمة ، وإعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوىٰ[1] .

١٣ـ في سورة الممتحنة :

قول الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

قال الإمام علي رضي الله عنه :

بعثنا رسول الله ﷺ : أنا والزبير والمقداد بن الأسود ، قال : « انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ فإن فيها ظعينة معها كتاب » فخرجنا تعادىٰ بنا خيلنا ، فإذا نحن بظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي كتاب! فقلنا لها : لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ أناس من المشركين ممن كان بمكة ، يخبر

---

(١) الكشاف للزمخشري : ٤/ ٤٨٤ ، وللتوسع في ذلك يراجع :
تفسير ابن كثير : ٦/ ٥٨٦ ، تفسير البغوي : ٤/ ٣٠٣ ، الدر المنثور للسيوطي : ٦/ ١٨٥ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧/ ٣٠٢ ، جامع البيان للطبري : ٢٨/ ١٥ ، الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس : ٢٣١ ، مستدرك الحاكم : ٢/ ٤٨٢ .

ببعض أمر النبي ﷺ ، فقال : « ما هذا يا حاطب؟ » فقال : لا تعجل عليّ ، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ، ولم أكن من أنفُسِها ، وكان معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون بها قراباتهم ، ولم يكن لي بمكة قرابة ، فأحببتُ إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً ، والله ما فعلته شاكاً في ديني ، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله ﷺ : « إنه قد صدق » فقال عمر رضي الله عنه :

دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق!

فقال : « إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلّ الله اطلع علىٰ أهل بدرٍ فقال :

اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فنزلت هذه الآية[1] .

لعلّ هذه الآيات هي أهم ما اتفق عليه المسلمون في فضائل آل بيت رسول الله ﷺ ، وقد سلطنا بعض الأضواء علىٰ ما قاله المفسرون في ذلك ، وعلىٰ أسباب نزولها أيضاً .

لكن يبقىٰ أن نقول شيئاً هو : أن هناك طائفة كبيرة من الآيات القرآنية ذكر بعض العلماء في القديم والحديث أنها نزلت في آل بيت

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي : ٤٤٩ ، وللتوسع يراجع :
تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٣٤٤ ، الدر المنثور : ٦/ ٢٠٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٥٠ ، جامع البيان عن آي القرآن للطبري : ٢٨/ ١٣٨ ، أحكام القرآن للشافعي : ٢/ ٤٧ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي : ٩/ ١٤٦ ، سنن الترمذي : ١٢/ ١٩٤ ، صحيح البخاري : ٦/ ١٤٩ ، شرح صحيح مسلم للنووي : ١٦/ ٥٤ ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٦/ ٨٨ ، تفسير النسفي : ٤/ ٣٤٠ ، الكشاف للزمخشري : ٤/ ٥١٠ .

رسول الله ﷺ ، لذلك سأذكر بعض النماذج مع الإشارة السريعة إلىٰ المصادر والمراجع التي تتحدث عن ذلك ، ومن أراد الزيادة أو التوسع فليرجع إلىٰ تلك المصادر والمراجع :

في قول الله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ينقل ابن حجر الهيتمي ونور الدين السمهودي والثعالبي عن جعفر الصادق رضي الله عنه قال : نحن حبل الله .

وفي قول الله تعالىٰ : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ١-٤] .

ينقل السمهودي والثعالبي عن جعفر الصادق أنها نزلت في قصة (غديرخم) .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥-٥٦] .

ينقل الثعالبي في تفسيره ، ونور الدين السمهودي ، أنها نزلت في علي رضي الله عنه .

وفي قول الله تعالىٰ : ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] .

ينقل الفيروز آبادي والهيثمي ، والقندوزي الحنفي ، وابن حجر أنها نزلت في السؤال عن ولاية علي وأهل بيته .

وفي قول الله تعالىٰ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

يروي البخاري ومسلم وأحمد والقاضي عياض والسمهودي والقندوزي أن عشيرته عليه الصلاة والسلام هم صفية وفاطمة .

وفي قول الله تعالىٰ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحىٰ : ٥] .

يروي ابن حجر ، والحاكم ، والمتقي الهندي ، والإمام أحمد ، والسمهودي ، والقرطبي ، والقندوزي الحنفي أن رضاه ﷺ ألاّ يدخل أحد من أهل بيته النار .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧] .

يروي ابن حجر ، والقندوزي الحنفي أنها نزلت في علي رضي الله عنه وشيعته .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ ﴾

[الأعراف : ٤٦] .

ينقل الثعالبي في تفسيره أن الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر رضي الله عنهم جميعاً ، ومثله عند الفيروز آبادي ، والقندوزي الحنفي ، وابن حجر .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾

[الأنفال : ٣٣] .

يروي ابن حجر والسمهودي أنها نزلت في آل بيت رسول الله ﷺ .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

[طه : ٨٢] .

يروي ابن حجر والديلمي أنه : أي اهتدىٰ إلىٰ ولاية أهل بيته .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٩ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٠ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝٢٣ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٤ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ ﴾ [الأحزاب : ١٠ـ٢٥] .

وهي قصة غزوة الأحزاب ، كان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ : وكفىٰ الله المؤمنين القتال بعلي ، هذا ما رواه السيوطي والقندوزي الحنفي .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

يروي السيوطي : هم محمد ﷺ وآل بيته[1] .

(١) للتوسع في ذلك يراجع : الدر المنثور للسيوطي : ٦/ ٢٦٠ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ١/ ٣٥٨ ، جواهر العقدين : ٢٦٦ ، الصواعق المحرقة : ١٦٠ ، فضائل الخمسة للفيروز آبادي : ١/ ٢٨١ .